جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 45 / أيلول 2025

الخيانة في القرآن الكريم وأثرها في الجوانب الأخلاقية والتربوية ـ دراسة موضوعية

Betrayal in the Holy Qur'an and Its Impact on Ethical and Educational Aspects – A Thematic

م.م تقي حسين فاخر
Taqi Hussein Fakher Al-Husseini
م.م عبد السلام عزيز عبد السلام
Abdul-Salam Aziz Abdul-Salam Al-Musawi

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الخيانة، القران الكريم، الجوانب الأخلاقية، التربوية.

Keywords: betrayal, the Holy Quran, moral and educational aspects.

الملخص:

يَتناول هذا البحث موضُوع الخِيانة في القُرآن الكريم من مَنظور أخلاقي وتَربوي، مُستعرضًا أبرز الآيات والأحاديث التي تناولت مَفهوم الخِيانة وصِورها المُختلفة، مثل: خيانَة الأمانة، وخيانِة العهد، والخيانة الزوجية، وخيانة الله والرسول.

ويبيّن هذا البحث أن الخِيانة تُعد من الصِفات المذمُومة التي تُؤدي إلى تفكِك المجتمع، وفُقدان الثِقة، وانتشار النفاق، وتدهور القيم التربوية. كما يُظهر أن القرآن والسنة شدّدا في النهي عنها، وعداها علامة على ضعف الإيمان.

وقد تم اعتماد المنهج الموضوعي التحليلي، من خلال تتبع المواضع التي وردت فيها كلمة الخيانة ومشتقاتها في النصوص الشرعية، وتحليل السياقات التي وردت فيها.

يُعرّف البحث الخيانة بأنها نقض العهد أو الإخلال بالأمانة، وتُعد من السلوكيات التي يمقتها الإسلام بشدة. وقد وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27]، ووردت أيضًا في قصص واقعية كخيانة بني إسرائيل، وخيانة بعض النساء كزوجة نوح ولوط.

كما بيّنت السنة النبوية خطورة الخيانة، وربطتها بالنفاق، كما في الحديث: (آية المنافق ثلاث... وإذا اؤتمن خان).

واختتم البحث بالتأكيد على أهمية ترسيخ الأمانة والوفاء في التربية الإسلامية، من خلال القدوة الحسنة، والتعليم المستمر، والمحاسبة المجتمعية.

Abstract:

This research explores the concept of betrayal in the Holy Qur'an from an ethical and educational perspective, reviewing the key verses and Prophetic traditions hadiths that address the notion of betrayal and its various forms, such as betrayal of trust, breach of covenants, marital betrayal, and betrayal of Allah and His Messenger.

The study emphasizes that betrayal is one of the condemned traits that lead to societal disintegration, loss of trust, spread of hypocrisy, and decline in moral and educational values. It shows that both the Qur'an and the Sunnah strongly condemn betrayal, regarding it as a sign of weak faith.

The research adopts a thematic analytical approach, tracking the occurrences of the term "betrayal" and its derivatives in the scriptural texts, and analyzing the contexts in which they appear.

Betrayal is defined as breaking a covenant or violating a trust, and is regarded in Islam as a reprehensible behavior. It appears in multiple verses of the Qur'an, such as: And do not betray Allah and the Messenger, and do not betray your trusts while you know [what you are doing]." [Al-Anfal: 27], and is also illustrated through real-life stories like the betrayal of Banu Israel, and the betrayal of the wives of Noah and Lot.

The Sunnah further clarifies the danger of betrayal, linking it to hypocrisy, as in the hadith:" The signs of a hypocrite are three… and when he is entrusted, he betrays"

The research concludes by stressing the importance of instilling the values of trustworthiness and loyalty within Islamic education—through good role models, continuous moral instruction, and community accountability.

المقدمة

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على النبي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القيم الأخلاقية تمثّل العمود الفقري لبناء الفرد والمجتمع، وهي من أبرز أهداف الرسالات السماوية، وقد أولى الإسلام هذه القيم عناية فائقة، ومن جملة هذه القيم: الأمانة، التي هي ضد الخيانة، وهي خلق عظيم تكررت الإشارة إليه في النصوص الشرعية، لما له من أثر في صلاح القلوب واستقامة الأحوال.

وقد جاءت الخيانة في القرآن الكريم والسنة النبوية بوصفها سلوكًا مذمومًا ومنافياً للإيمان، وعدّها الشارع من الصفات المناقضة للفطرة السليمة، وذات أثر بالغ السوء في الجوانب الأخلاقية والتربوية للفرد والمجتمع. وهي لا تنحصر في الخيانة المالية فقط، بل تشمل خيانة الأمانة، والعهد، والنصيحة، وحتى خيانة النفس والهوية والمبادئ.

تُظهر آيات القرآن الكريم الخيانة بصورها المختلفة:

- خيانة الزوجة لزوجها كما في مثل امرأة نوح وامرأة لوط.
- خيانة الأمانة العامة والخاصة.
- خيانة العهد مع الله والناس.
- خيانة الجماعات والمجتمعات التي تؤدي إلى التهديد الداخلي للأمة.

كما أن السنة النبوية الشريفة زخرت بأحاديث تفضح قبح الخيانة وتبين آثارها، وتربطها بضعف الإيمان أو نفاق القلب، وتُبرز خطرها على بنية المجتمع المسلم.

من هنا، تأتي هذه الدراسة بعنوان:

"الخيانة في القرآن وأثرها في الجوانب الأخلاقية والتربوية – دراسة حديثية"،

لتسلط الضوء على طبيعة هذا السلوك المذموم من خلال النصوص الشرعية، مع التركيز على الجانب الحديثي من خلال جمع الأحاديث المتعلقة بالخيانة، ثم استنباط الأبعاد الأخلاقية والتربوية منها، وفق منهج علمي يقوم على الجمع بين الرواية، وبين النظر في النص والتنزيل العملي له في الواقع التربوي.

أهمية الموضوع:

1. الحاجة إلى معالجة الانهيار الأخلاقي في كثير من المجتمعات المسلمة.
2. إبراز النظرة القرآنية والحديثية المتكاملة لسلوك الخيانة.
3. تقديم أساس تربوي مستمد من النصوص الشرعية لمحاربة هذا الخلق المذموم.

أهداف الدراسة:

- جمع الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بالخيانة.
- بيان معاني الخيانة في ضوء القرآن والسنة.
- تحليل الأبعاد الأخلاقية والتربوية المترتبة على سلوك الخيانة.
- تقديم رؤية تربوية مستمدة من القران الكريم والسنة النبوية للوقاية من هذا السلوك.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع النصوص القرآنية المتعلقة بالخيانة، وتحليلها، ثم استنباط ما فيها من دلالات أخلاقية وتربوية. كما يُعتمد على المنهج المقارن عند الحاجة، وخاصة في مقارنة الآثار التربوية للخيانة حيث تكون البحث من مبحثين درس الأول المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للخيانة واما المبحث الثاني فتألف من عدة مطالب حيث تناول الخيانة من عدة محاور منها خيانة العبد لربه وخيانة أولاد يعقوب النبي (عليه السلام) وخيانة امرأة العزيز وخيانة الناس لأماناتهم وودائعهم وغيرها.

المبحث الأول

البيان التنظيري لعنوان الدراسة

اولاً: الخيانة في اللغة.

يُستعمل لفظ "الخيانة" ومشتقاته في اللغة العربية لمعانٍ متعددة، فمنها ما يدل على نقض العهد والغدر في الود والنصح، فيُقال: "خنتُه مخانةً وخونًا"، كما يُطلق على تغير الأحوال من الخير إلى الشر، فيُقال: "خانَه الدهر والنعيم" إذا تحول من حال طيبة إلى سيئة. ويُستعمل الفعل "خان" للدلالة على الغدر بين الأفراد، فيُقال: "خانني فلان خيانةً". ومن المعاني اللغوية الأخرى للجذر "خ و ن" ما يدل على التغير والاضطراب، فـ"الخون" في النظر يعني الفترة القصيرة التي ينقطع فيها البصر، ويُوصف الأسد بأنه "خائن العين" لسرعة حركة عينيه. كما يُطلق "خائنة العين" على النظرة الخاطفة التي تسرق ما لا يحل النظر إليه[1].

ان معاجم وكتب اللغة اتفقت على ان مصدر او اصل معنى الخيانة يرتبط بمفهوم النقص وهو ما اشار اليه عدد من اللغويين ووجدت الفاظ ومعان حول اصل هذا المعنى، حيث جاء في كتب اللغة ومعاجمها ان الخيانة تستخدم للدلالة على مخالفة الامانة والاخلال بها ومن ذلك ما جاء في تفسير "الخون" بانه نقص في الشيء، ولهذا يقال عن الخائن قد انقص ما اؤتمن عليه[2].

في ظهرِهِ خَوْن، اشارة الى الضعف، وهو ما نعبر عنه بالمجاز، ويقال ايضاً: خانتهُ رِجلاه: أي لم يقدر على المسير أو المشي، ولشدة الضعف والكبر في العمر نقول (خانهُ سيفه)، وخانه الدهر: أي غير حاله من اللين إلى الشدة[3]، ولنأخذ مثال اخر ما ذكره الاعشى ايضاً: (وخان النعيم أبا مالك وأي امرئ لم يخنه الزمن)[4].

ثانيا: الخيانة في الاصطلاح:

الخائن هو الغدار الذي لا يحفظ الأمانة ولا يؤدي ما اؤتمن عليه، بل ينقض العهد ويخون الثقة الممنوحة له[5].

ويشير صاحب كتاب تفسير الميزان الى معنى " الخيانة بأنها نقض العهد فيما يؤتمن عليه، وهذا معنى الخيانة في العهود والمواثيق، وأما الخيانة بمعناها العام فهي نقض ما أبرم من الحق في عهد أو أمانة، والنبذ هو الإلقاء ومنه قوله: "فنبذوه وراء ظهورهم:" آل عمران: – 187[6].

يُعرّف الخائن بأنه من يخون الأمانات الموضوعة تحت يده، ويُطلق عند الإباضية تحديداً على من يدخل مكاناً بإذن ثم يسرق متاعاً بخيانة، كما في الآية الكريمة: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (غافر:19)، حيث فُسرت "خائنة الأعين" بعدة أقوال: فقيل هي نظرة الإشارة الخفية، وقيل النظرة الثانية المتعمدة، بينما ذهب ابن عباس إلى أنها تعني التطلع المحرم مع إظهار الغض عند الفطنة. وتُعرف الخيانة شرعاً بأنها جحود ما اؤتمن عليه، وفي الفقه الشافعي تندرج تحت الخيانة أنواع التدليس في البيع سواء في ذات المبيع أو صفاته أو الأمور الخارجية المتعلقة به[7].

فلو نظرنا الى الخيانة بتمعن لوجدنا أن لها عدة معان تدل عليها، حيث نجد منها ما تدل على التقصير والانتقاص، ومنها ما يدل على الغدر واخرى تدل على إضمار الأذى سراً بالمخون، فالخيانة بمعانيها جلها نستطيع ان نعبر عنها بأنها (التفريط في الأمانة)، حيث نجد ان هذا المعنى يشمل كل أمانة بين شخصيين فكل تفريط بالأمانة يعد خيانة كخيانة الامانة في التكاليف الشرعية المناطة بالمكلفين[8].

المبحث الثاني: نماذج من الخيانة في القرآن الكريم

المطلب الاول: خيانة الأفراد

اولاً: – خيانة امرأة العزيز:

من أبرز النماذج التي عرضها القرآن الكريم ضمن موضوع الخيانة، نموذج خيانة العرض والميثاق الزوجي، والذي تجسّد في قصة نبي الله يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، كما ورد في سورة يوسف، وهي القصة التي حملت بين طياتها الكثير من الدلالات التربوية والأخلاقية العميقة، حيث تبيّن كيف أن الخيانة قد تبلغ أقصى درجاتها حين تتجاوز حدود الدين والشرف والوفاء، لتطعن في صميم كيان الأسرة.

لقد أشار الله عز وجل إلى هذه الحادثة بقوله:﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: 23–24).

في هذا المشهد، نلحظ أن امرأة العزيز – على الرغم من كونها زوجة لرجل مرموق، ومقيمة في قصر تحفه العظمة والجاه – خانت ميثاق الزوجية، وانزلقت إلى محاولة إغواء فتى نشأ في بيتها، تربّى في كنف زوجها وتحت سقفها، ما يجعل فعلتها أشد خطورة من مجرد انحراف شخصي، إذ تمثل خيانة مضاعفة: خيانة زوجها، وخيانة الأمانة، وخيانة العفة والشرف.

وقد وصف سيد قطب أجواء هذا المشهد بدقة وعمق في "في ظلال القرآن"، مبينًا أن هذه المراودة لم تكن وليدة لحظة عابرة، بل جاءت في سياق تراكم نفسي وشهواني، قائلاً: "إن حركة غلق الأبواب المتعددة تدل على وصول

الموقف إلى لحظته الحاسمة، حيث بلغ نداء الجسد أشدّه، وكانت الدعوة فيها صريحة، مباشرة، بلا حياء ولا مداراة: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، أي تعال إلي. ولم يكن هذا أول ما بدر منها، بل سبقته همسات، ونظرات، وإغراءات لعلها كانت تأمل أن يضعف أمامها يوسف عليه السلام، ولكن يوسف أبدى من العفاف والصبر والتقوى ما يعجز عنه أقوى الرجال".

ونبي الله يوسف عليه السلام، على الرغم من أنه شاب في ريعان القوة، مقيم في قصر مغلق الأبواب، ودُعي من امرأة ذات منصب وجمال وسلطة، إلا أنه قابل هذه الدعوة بالرفض القاطع، وعلّل رفضه بدعوتين: الأولى دينية: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، والثانية أخلاقية إنسانية: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، أي كيف أخون من أحسن إليّ وربّاني وأكرمني؟ وقد أثنى الله عز وجل على يوسف في هذا الموطن ثناءً عظيمًا، وبيّن أن العفاف والابتعاد عن الفاحشة لم يكن مجرد اجتهاد بشري، بل كان بفضل توفيق رباني صرف عنه السوء والفحشاء:﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: 24).

وأما قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾،فقد تناول العلماء هذا الهمّ بتفاسير متباينة، إلا أن الراجح عند جماهير أهل التحقيق أن همّ يوسف لم يكن همّ فعل، بل همّ خاطر بشري طبيعي سرعان ما انصرف عنه حين رأى برهان ربه، أي الحجة الباطنة أو الرؤية التي منعه الله بها من الوقوع، ولهذا قال المفسرون: "الهمّ هنا ميل الطبع لا الإرادة الجازمة، وهذا لا ينافي العصمة، بل هو مما يُثاب عليه العبد إن كفّ نفسه عند حصوله، ومن أقوال بعض العلماء أيضًا أن جملة "لولا أن رأى برهان ربه" هي جملة شرطية، دالة على الامتناع، أي: لو لم يرَ البرهان لهمّ بها، لكنه رآه، فامتنع الهمّ، وبهذا يتحقق كمال العفة والطهارة والنبوة في سلوك يوسف عليه السلام، ولما لم تجد امرأة العزيز استجابة، بادرت باتهامه افتراءً وكذبًا، محاولة قلب الطاولة وتبرئة نفسها عبر الكيد والمكر، فقالت لزوجها الذي دخل فجأة ووجدهما قرب الباب:﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (يوسف: 25)، لكن يوسف عليه السلام لم يسكت، بل صرح بالحق:﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾،فشهد شاهد من أهلها بحكمة: إن كان القميص قدّ من الأمام فهي صادقة، وإن كان قدّ من الخلف فهو كاذبة، قال تعالى:﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف: 28)، وهكذا كشفت الحقيقة، وثبُت أن يوسف عليه السلام بريء، وأن امرأة العزيز هي الآثمة، ومع ذلك، لم تعترف بخطئها إلا لاحقًا، بل حاولت تغطية خيانتها باتهام بريء. وهذه الصفة هي من أبرز صفات الخائنين، الذين لا يتورعون عن إلقاء التهم على الأبرياء لتغطية خيانتهم(9).

وهذا المشهد، بمضمونه القرآني العميق، لا يمثل فقط خيانة لزوج غائب عن البيت، بل هو خيانة لقيم الأسرة، وطعنة في شرف بيت كريم احتضن يوسف وربّاه. وهو يبين أن الخيانة لا تأتي دائمًا من خارج البيوت، بل قد تنبع من داخلها، من حيث ينبغي أن يكون الأمن والوفاء، وإننا إذ نتأمل هذا النموذج، ندرك أن خيانة العرض والزواج من أخطر صور الخيانة في القرآن، ليس فقط لأنها تدمر الأسرة، بل لأنها تخون ميثاقًا شرعه الله وسمّاه ميثاقًا غليظًا، كما قال تعالى في الزواج:﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: 21).

وهذا النموذج يعزز ما فعله يوسف عليه السلام في الامتناع عن الفاحشة وعلى الرغم من القدرة عليها، مما يدل على كمال الورع، وشرف النفس، وكمال الإخلاص

ثانياً: – خيانة الدم حين تنقلب الأخوّة غدرًا في قصة يوسف (عليه السلام)

يذكر البغوي أن الآية الكريمة تكشف ما أسرّه إخوة يوسف (عليه السلام) في حديثهم، حيث أظهروا حقداً وحسداً تجاه أخيهم يوسف وأخيه، متسائلين عن سبب امتلاء نفوسهم بهذا الغيظ، كما في قوله تعالى: {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}. فكان الدافع لحقدهم وتآمرهم هو شعورهم بتفضيل أبيهم ليوسف (عليه السلام) عليهم في المحبة والرعاية، مما قادهم لقرارهم الغاشم: {اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا}، حيث أن طرحه في أرض نائية يعادل الموت. ولم تكن جريمتهم بسيطة، بل شملت جرائم متعددة: قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقسوة على الصغير البريء، وغدراً بالأمانة، ونقضاً للعهد، وكذباً على الأب. وهذا الكذب –كما سبق بيانه– من صفات الخائنين لإخفاء جرائمهم، بهدف نيل مكانة أبوية تتناسب مع طموحاتهم الأنانية[10].

يذكر الطوسي في تفسيره أن الله سبحانه وتعالى بيّن كيف أن أخوة يوسف (عليه السلام) بعدما اتفقوا على التآمر ضده، توجهوا إلى أبيهم يعقوب (عليه السلام) بقولهم: {يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ}، معبرين عن استغرابهم لعدم ثقته بهم في رعاية يوسف، وزعموا أنهم يريدون له الخير والإخلاص. وقد دل هذا الموقف على أن يعقوب (عليه السلام) كان يرفض إرساله معهم سابقاً. ثم طلبوا منه مجدداً: {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ}، حيث اختلف المفسرون في معنى "يرتع ويلعب" بين من رأى أن اللعب المباح كالرمي والسباق، ومن فسره بالرعي والتنقل. وأكدوا له أنهم سيكونون {لَهُ لَحَافِظُونَ}، أي سيحفظونه ويعيدونه سالماً. وقد اختلفت الروايات في عمر يوسف عند إلقائه في الجب ما بين سبع سنوات إلى سبع عشرة سنة، كما اختلفت في مدة فراقه لأبيه. وتكشف الآيات عن مدى حسد إخوته له، حيث كان أبوه يحرسه منهم ويحذّر من إرساله معهم، مما يدل على شدة تعلق يعقوب به وخوفه عليه منهم، يذكر الطوسي: أن يعقوب (عليه السلام) عبر عن مخاوفه بقوله: {أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ}، وهي جملة حالية تدل على خوفه من وقوع المصيبة أثناء انشغالهم. وقد كانت أرضهم موطناً للذئاب الضارية، ويروى أن يعقوب رأى في منامه رؤيا فيها عشرة ذئاب تهاجم يوسف، بينما يحميه ذئب واحد، ثم يختفي في الأرض لثلاثة أيام. وقد نبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على عدم تلقين الكذب، حيث أن بني يعقوب لم يكونوا يعلمون أن الذئب يأكل الإنسان حتى لقنهم أبوهم. ويرى بعض المفسرين أن يعقوب كان يخفي مخاوفه الحقيقية من أبنائه، فاستعاض بالذئب كناية عنهم، حتى أن ابن عباس سماهم "ذئاباً". فأجابوه باستنكار: {لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ}، بمعنى أنهم سيكونون عاجزين ومضيعين إن حدث ذلك. وعندما أرسل يوسف معهم، أجمعوا على إلقائه في غيابة الجب (أعماق البئر)، وهي بئر معروفة عندهم تردها القوافل. واختلفت الروايات في تفاصيل الحادثة: فبعضها يذكر أنهم أخرجوه مكرماً ثم أظهروا عداوتهم في الصحراء، وضربوه بينما يستغيث، ومنعهم لاوي أو يهوذا من قتله. وعند إلقائه في البئر، تعلق بحافتها ثم نزعوا قميصه وهو يسترحم، فسخر منه قائلين: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً. وفي

البئر، تناثرت الروايات بين من ذكر وجود ماء كدر صفا بأمر الله، ومن قال أن صخرة ارتفعت ليقف عليها عرياناً، بينما وكل الله به ملكاً أو جبرائيل لحراسته وإطعامه وإيناسه[11].

ثالثاً: – خيانة امرأتي نوح ولوط (عليهما السلام):

هذا نموذجٌ آخر للخيانة يتمثل في خيانة الدين، وذلك بمخالفة تعاليم الرسل والأنبياء (عليهم السلام). وهو ما تجسد في فعل امرأتي النبيين نوح ولوط (عليهما السلام)، حيث ذكر الله تعالى فعلهما بقوله:﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم: 10).

فهذا مثلٌ ضربه الله تعالى للعبرة، يُظهر خيانةً صادرةً من زوجتَي نبيين من أنبياء الله، وقد وَصَفَ القرآن فعلتَهما بلفظ "الخيانة" تحديدًا.

تفسير الخيانة:

ذكر المفسرون معانٍ متعددة لهذه الخيانة:

– الأرجح أنها خيانة الدين بالكفر (إذ كانتا مشركتين).

– قيل: كانت امرأة نوح تنعت زوجها بالجنون، بينما كانت امرأة لوط تخبر قومها بأضيافه.

– قيل: كانت امرأة نوح تُفشي أسراره للكفّار، فإذا آمن به أحدٌ أخبرت الجبابرة به.

– قيل: كانتا منافقتين.

– قيل: كانت خيانتهما في النميمة، حيث كانتا تفشيان ما يوحى إليهما.

– وقيل: كانت امرأة لوط تُشعل دخانًا عند نزول الضيف؛ إشارةً لقومها الذين كانوا يأتون الرجال[12].

أجمع علماء التفسير على أن المقصود بخيانة امرأتي نوح ولوط ليس خيانة العرض (الزنا)، إذ لم تزن امرأة نبي قط؛ لأن نسبة ذلك لرسول تنفّر من رسالته وتنسب إليه النقص، وهو ما يتعارض مع أداء الرسالة. بل الخيانة هنا هي **خيانة الدين**، حيث لم تؤمنا بالله ورسالته.

وبغض النظر عن تفاصيل الخيانة، فالعاقبة واحدة: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (التحريم: 10).

فلم يدفع النبيان – مع مكانتهما عند الله – عن زوجتيهما شيئًا من العذاب حين عصتا، تنبيهًا بأن العذاب يُدفع بالطاعة لا بالوسيلة، وقد ضرب الله هذا المثل ليُعلّم أنه لا يغني أحدٌ في الآخرة عن قريب أو نسيب إذا اختلف الدين.

مصيرهما في الدنيا:

أهلك الله المرأتين مع الكفار، كما في قوله تعالى:﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: 83–84).

العبرة الجوهرية:

الرابطة الوحيدة المعتبرة هي رابطة العقيدة والإيمان، فجميع الروابط الدنيوية (زوجية، أبوية، قومية) لا قيمة لها بدونها، ولا تُنجي صاحبها عند الله، وإذا اختلت رابطة الإيمان فلا رابطة، ويجب البراءة من الخائن مهما عظُمت

صِلته، كما يتضح من:

- قصة نوح (عليه السلام) مع ابنه الكافر.
- قصة إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه.
- قصة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مع عمه وقومه.

رابعاً: الخيانة العقدية (خيانة الدين)

وقد ورد عن ابن عباس تفسيرًا للآية الكريمة، أن المقصود بالأمانة: الطاعة والتكاليف، وأن الله عرضها على السماوات والأرض والجبال، فأبين حملها لما فيها من مشقة المسؤولية، أما الإنسان فقبلها مع ما فيها من الثواب والعقاب، فكان ظلومًا لنفسه وجهولًا بعِظم ما أُنيط به. فذلك قوله :(فحملها الإنسان، إنه كان ظلوما جهولا)[13].

في تفسير قوله تعالى: "من بعد ميثاقه"، يوضح الطبري أن المقصود هو نقض العهد بعد توثيق الله لهم بأخذ المواثيق والعهود بالوفاء. فالتوثق مصدر من "توثقت من فلان توثقاً"، والميثاق اسم منه، والهاء في "ميثاقه" تعود على اسم الله تعالى. وهذا الحكم يشمل كل من اتصف بصفات الفاسقين من المنافقين والكفار في نقض العهد وقطع الرحم والإفساد في الأرض.

ويستشهد الطبري بما رواه بشر بن معاذ عن قتادة في تفسير الآية، حيث حذر من نقض الميثاق الذي أوعد الله عليه أشد الوعيد، مؤكداً أن الله لم يعد في ذنب كما أوعد في نقض الميثاق، داعياً إلى الوفاء بعهد الله من أعماق القلب[14].

أما الشيخ الطوسي فيبين أن معنى "إن يريدوا خيانتك" أن هؤلاء الأسرى إن كان في قلوبهم خير أخلف الله عليهم خيراً مما أخذ منهم، وإن عزموا على الخيانة ونقضوا العهد فقد خانوا الله بترك طاعته وطاعة رسوله. والخيانة هنا تعني نقض الطاعة لله ورسوله التي تشهد بها الأدلة. ويوضح أن قوله "فأمكن منهم" يعني أنهم لما خانوا بخروجهم إلى بدر وقاتلوا مع المشركين، أذلهم الله بالهزيمة والأسر، فإن عادوا للخيانة عادت عليهم الهزيمة. والتمكين هو القدرة على الشيء مع زوال المانع، وهو نقيض الإجبار والعجز[15].

ورد في الروايات الشريفة عن أهل البيت (عليهم السلام) تحذيرات صريحة من خيانة المؤمنين وإهمال حقوقهم، فقد روى محمد بن علي عن أبي جميلة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: "مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ ثُمَّ لَمْ يُنَاصِحْهُ فِيهَا كَانَ كَمَنْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَكَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ". وفي شرح هذه الرواية: أن التشبيه بخيانة الله ورسوله إما باعتبار أن خيانة المؤمن كخيانتهما، أو لأن خيانته تستلزم خيانتهما، والقاصد للملزوم كالقاصد للازم وإن لم يشعر به.

كما روى عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابه، عن حسين بن حازم، عن حسين بن عمر بن يزيد، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "مَنِ اسْتَشَارَ أَخَاهُ فَلَمْ يُمَحِّضْهُ مَحْضَ الرَّأْيِ سَلَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَأْيَهُ". وشرح ذلك: أن "أمحضه" تعني أخلصه الود والنصيحة، والرأي يحتمل العقل والتدبير وما يعتقده الإنسان.

وروى عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، وأبو علي الأشعري، عن محمد بن حسان جميعاً، عن

إدريس بن الحسن، عن مصبح هلقام قال: أخبرنا أبو بصير قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: "أَيَّمَا رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا اسْتَعَانَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِهِ فِي حَاجَةٍ فَلَمْ يُبَالِغْ فِيهَا بِكُلِّ جُهْدٍ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ". وسأل أبو بصير الإمام (عليه السلام): "ما تعني بقولك: والمؤمنين؟" فأجاب: "مِنْ لَدُنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى آخِرِهِمْ". وشرح ذلك: أن المراد بهم إما الأئمة (عليهم السلام) خاصة، أو المؤمنون جميعاً إلى يوم القيامة[16].

كما أن المسلم الذي لا يلتزم بأوامر الدين، ويكتفي بالانتماء الشكلي للإسلام دون عمل، يُعدّ خائنًا للدين أيضًا، لأنه لم يؤدِّ ما كُلّف به من عبادات ومعاملات، فترك الصلاة، والزكاة، والصوم، وارتكب المحرمات كالكذب، والنميمة، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وكل ذلك خيانة لله ولدينه.

2.الخيانة الاجتماعية (خيانة الأمانة، العهد، الأسرة)

المطلب الثاني: خيانة الجماعات

اولاً. خيانة المنافقين (كما في غزوة الأحزاب)

يقول الله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [البقرة:16]. وقد اتفق القراء على ضم واو "اشتروا" إلا ما روي عن السوخردي ويحيى بن يعمر من قراءات شاذة. والمعنى أن هؤلاء المنافقين – كما فسره ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومجاهد – استبدلوا الكفر بالإيمان، واختاروا الضلال على الهدى. وإن سُئل كيف يكون ذلك وهم لم يؤمنوا قط؟ فالجواب أن المراد أنهم تركوا ما كانوا عليه من مظاهر الهدى الظاهري مقابل ضلالتهم الباطنة، كما يترك المشتري الثمن ليأخذ السلعة. وهذا التعبير جائز في اللغة، كقول الشاعر: "أخذت بالجمة رأساً أزعرا... كما اشترى المسلم إذ تنصرا". وقد قيل أيضاً إن المعنى استحبوا الضلالة على الهدى، كما في قوله تعالى: {فاستحبوا العمى على الهدى} [فصلت:17]، وهذا الاستعمال وارد في اللغة حيث يقال "اشتريت كذا على كذا" بمعنى اخترته[17].

ورد في الرواية عن محمد بن يحيى، عن الحسين بن إسحاق، عن علي بن مهزيار، عن محمد بن عبدالحميد والحسين بن سعيد جميعاً، عن محمد بن الفضيل أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن مسألة، فكتب إليه جواباً: "إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً"، ثم بين الإمام عليه السلام حالهم بقوله: "ليسوا من الكافرين وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين، يظهرون الإيمان ويصيرون إلى الكفر والتكذيب لعنهم الله"، حيث يوضح هذا النص صفات المنافقين وموقفهم المذبذب بين الإيمان والكفر، مع تأكيد الإمام على أنهم فئة مستقلة عن الكافرين والمؤمنين المسلمين، بما يجسد حقيقة النفاق وخطورته في المجتمع الإسلامي[18].

ورد في الرواية عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل أنه قال: كان الطيار يسألني قائلاً: "إبليس ليس من الملائكة، وإنما أُمرت الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، فقال إبليس: لا أسجد، فما لإبليس يعصي حين لم يسجد وليس هو من الملائكة؟"، ثم دخلنا أنا وهو على أبي عبدالله عليه السلام، فأحسن والله في المسألة، فسأله الطيار: "جعلت فداك، أرأيت ما ندب الله عز وجل إليه المؤمنين من قوله: (يا أيها الذين آمنوا)،

أدخل في ذلك المنافقون معهم؟"، فأجاب الإمام عليه السلام: "نعم، والضلال، وكل من أقر بالدعوة الظاهرة، وكان إبليس ممن أقر بالدعوة الظاهرة معهم"[19].

كما روى أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "مثل المنافق مثل جذع النخل، أراد صاحبه أن ينتفع به في بعض بنائه فلم يستقم له في الموضع الذي أراد، فحوله في موضع آخر فلم يستقم له، فكان آخر ذلك أن أحرقه بالنار"، حيث يبين هذا الحديث النبوي حقيقة المنافقين وعدم انتفاع المجتمع بهم، وانتهاء أمرهم إلى الهلاك والعذاب[20].

ثانياً: خيانة أهل الكتاب (نقض العهود)

لقد سبق أن أُشير إلى أن الخيانة والمكر والغدر من سمات الكفار والمنافقين، ولكن القرآن الكريم أفرد أهل الكتاب بذكرٍ خاص، نظراً لتكرر صور الخيانة في مواقفهم مع أنبيائهم ومع المسلمين. وقد جسدت النصوص القرآنية هذه الخيانات بأمثلة متعددة من نقض المواثيق، والغدر بالعهود، وتحريف الدين الإلهي، ومحاولة الإيقاع برسول الله محمد (صلى الله عليه وآله)، وغير ذلك من صور الخيانة الظاهرة والباطنة التي مارسها اليهود والنصارى.

فالقرآن الكريم لم يكتفِ بسرد هذه الوقائع، بل حذّر المؤمنين من الوقوع في شِراك الاغترار بأهل الكتاب، ومن الوثوق بعهودهم التي كثيرًا ما أظهرت الأيام بطلانها، بل أمرهم بالحذر واليقظة في التعامل معهم، كما قال تعالى:﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (المائدة: 56).

وقد أشار المفسرون إلى أن هذه الخيانة ليست حالة طارئة، بل هي صفة متأصلة في بنيانهم العقدي والسلوكي. يقول الفيض الكاشاني في تفسيره لهذه الآية: "نقض العهود والخيانة من خصائص أهل الكتاب، وقد أمر الله عز وجل بالتعامل معهم وفقًا لطبيعتهم الغادرة، فإن ظهرت منهم أمارات الخيانة، وجب نبذ العهد إليهم بوضوح، لئلا يكون ذلك غدرًا من جانب المسلمين، فإن الله لا يحب الخائنين"[21].

وقد وثّقت كتب السيرة والسُنة نقض قبائل اليهود – كسكان المدينة من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة – للعهود التي عقدوها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فبنو النضير حاولوا اغتيال النبي بإلقاء حجر عليه من فوق جدار، وبنو قينقاع كشفوا عورة امرأة مسلمة في سوقهم وقتلوا المسلم الذي دافع عنها، أما بنو قريظة فخانوا المسلمين وتحالفوا مع الأحزاب يوم الخندق[22].

إلا أن خيانتهم لم تقتصر على العهود السياسية، بل خانوا دينهم كذلك، فحرّفوا التوراة والإنجيل، وبدّلوا معالم الشريعة. قال تعالى:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (النساء: 46)،

وفي موضع آخر قال:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 75)،وكذلك قوله تعالى:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 146).

وقد كانت إحدى صور هذه الخيانة كتمان أمر النبي محمد (صلى الله عليه وآله) الذي كان مذكورًا عندهم في كتبهم، فلما بعثه الله تعالى، كتموا البشارة، وعادوا المسلمين رغم يقينهم بصدق النبوة، وقد كشف القرآن ذلك بقوله:﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: 76)، وهذا النفاق الظاهر والكتمان الباطن من أبرز صفات أهل الخيانة من كل ملة، وهو مما اشترك فيه منافقو أهل الكتاب مع منافقي المسلمين، إذ أن نمط الخيانة يتكرر في كل أمة كلما غاب عنها الوعي والالتزام بعهد الله، غير أن العجب ليس فقط في أفعال أهل الكتاب كما نقلها القرآن، ولكن الأعجب أن تتكرر هذه الخيانات ذاتها في أمة الإسلام، رغم وضوح القرآن وتحذيره منها. لقد قصّ الله عز وجل على المسلمين خيانات بني إسرائيل، ليتّعظوا بها ويتجنبوا سبيلهم، ولكن حين تركت الأمة العمل بكتاب الله، وقطعت ميثاقها مع ربها، صارت إلى نفس المصير الذي حاق بمن قبلها، يقول تعالى:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة: 13)[23]. وإنما كان هذا القصص القرآني العظيم هادفًا إلى التحذير والعظة، لا للتسلية ولا للتاريخ، لكن لما هجرت الأمة قرآنها – وإن بقيت ترتده كأدعية وتراتيل – نزع الله منها القيادة، وصارت تابعة لا متبوعة، وذيلًا في القافلة بعد أن كانت رأسها.

إن خيانة أهل الكتاب كما وصفها القرآن، هي نموذج تحذيري دائم، فكما نُقض الميثاق من قبلهم، يُنقض اليوم على أيدي المنتسبين للإسلام ممن خانوا الأمانة الإلهية والدين. وما لم تعد الأمة إلى الالتزام الكامل بميثاقها مع الله، فإنها تبقى بعيدة عن وعد الله بالتمكين، ذلك الوعد الذي لا يتحقق إلا لمن أوفى بالعهد، وصدق في الطاعة، وأخلص في الدين:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

المبحث الثالث: الآثار الأخلاقية والتربوية للخيانة

المطلب الاول: بالتربية والتحصين والارشاد يتطهر المجتمع من الخيانة.

المرتكز الأساس لتحصين المجتمع من أخطار الخيانة هو غرس الأخلاق الإسلامية وتربية الأجيال على مبادئ:

– التمسك بالأمانة بكل معانيها.

– تجنب الرذائل الأخلاقية المرتبطة بالخيانة.

فإخراجُ أجيالٍ محصَّنةٍ ضد ممارسات الخيانة يُعد تحقيقًا للشق الأهم في المعادلة، تليه معالجة المظاهر الموجودة في المجتمع المسلم، وقد وضع الإسلام قواعدَ كلا الأمرين.

سبل التربية القرآنية للوقاية

1. استشعار رقابة الله الدائمة

– يجب غرس هذا المبدأ في النفوس (صغارًا وكبارًا) ليكون صمام أمانٍ من الانزلاق نحو الخيانة.

– الرقابة الإلهية تفوق جميع الرقابات البشرية:﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: 19).

– المسلم المستحضر لهذه الرقابة يُمتنع عن صغائر الخيانة قبل كبائرها.

2. النهي عن التجسس (درءًا لبوادر الخيانة)

– النهي القرآني الصريح: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الحجرات: 12).

– معناه: النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم المستورة.

يُجمع جمهور العلماء على عدّ التجسس من الكبائر لكونه تمهيدًا لأفعال الخيانة. وقد ورد التحذير الصريح في السنة النبوية:– حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما رواه الشهرودي: *"إياكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا"*[24]

تفسير النهي عن التجسس:

– يُعلق القرطبي على هذا النهي قائلًا:*"ذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء، ويريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه، ويتبصر ويستمع لتحقيق ما وقع له من تلك التهمة، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك[25].

درجات التجسس المحرمة

إذا كان النهي يشمل مَن يتجسس بدافع إثبات التهمة، فالأشد حرمةً:

1. مَن يتخذ التجسس عادةً بتتبع أمور المسلمين.
2. مَن يلاحقهم للإيقاع بهم عبر:
   – التنصت على مكالماتهم وأفعالهم.
   – تتبع تحركاتهم وذهابهم وإيابهم.
   – التقاط أحاديثهم مع الآخرين.
3. مَن ينقل الأخبار بالتحريف:
   – بالكذب والتأويل.
   – بالتلفيق والافتراء.

4.التربية الوقائية: حرمة خيانة المسلم

يُعرِّف النبي صلى الله عليه وسلم حقوق الأخوة الإسلامية بقوله (كما رواه الشهرودي): "المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله"*[26].

تطبيقات هذا الحديث:– يحرم على المسلم خيانة أخيه خاصةً إذا ائتمنه على:

– ماله.
– عرضه.
– أي شيء من أموره الخاصة.

– أشد هذه الخيانات جرمًا: هي خيانة أعراض المسلمين والمجاهدين.

إن جوارح الإنسان لن تشهد يوم القيامة ضد المؤمن الحق، بل إنها تشهد فقط على أولئك الذين استحقوا العذاب بكفرهم ومعاصيهم. أما المؤمن المخلص فسوف ينال كتاب أعماله بيمينه، علامةً على رضوان الله تعالى، كما أخبرنا الله عز وجل في كتابه الكريم: "فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا"، وفي تفسير قوله تعالى: "الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات"، وردت عدة أقوال

للمفسرين، نذكر منها ما يخص موضوعنا: فقد قيل في معنى هذه الآية – كما ذكر في المجمع – أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء. وهذا القول قد روي عن أبي مسلم والجبائي، وهو المروي أيضاً عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وقد فسروا هذه الآية بأنها تشبه في معناها قوله تعالى: "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة". حيث كان بعض الناس يفكرون في الزواج من الزواني، فنهاهم الله تعالى عن ذلك وكرهه لهم، ليبين أن الخبيثين من الرجال والنساء لا يصلحون إلا لأمثالهم، كما أن الطيبين لا يصلحون إلا للطيبين، فهذه الآية الكريمة تضع مبدأً مهماً في العلاقات الزوجية والاجتماعية، وهو أن الناس يتمايزون بحسب أخلاقهم وأعمالهم، وأن الخبيثين لا يصلحون للطيبين، والعكس صحيح. وهذا من حكمة الله تعالى في حفظ المجتمع من اختلاط الأخلاق وفساد النسل[27].

المطلب الثاني: طريقة التعامل مع الخائنين في المجتمع:

في هذا المطلب سيتم تتبُّع الإرشادات القرآنية الحكيمة في محاربة ظاهرة الخيانة، وكيفية التعامل مع الخائنين، خاصة خائني الدين والوطن أو الخيانة العظمى، وتصنيف هذه الإرشادات إلى نقاط حسب ورودها في كتاب الله عز وجل:

اولاً: – تقديم النصح والإرشاد أليهم:

في تفسير المجمع للطبرسي، عند شرح قول الله تعالى: "أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم"، يبين المفسرون أن المقصود هنا هو أن الله تعالى يعلم ما تخفي صدور هؤلاء المنافقين من شرك ونفاق وخيانة، ثم يأتي الأمر الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم: "فأعرض عنهم"، أي لا تعاجلهم بالعقاب، بل اتركهم لله عز وجل، ثم يأتي التوجيه الإلهي: "وعظهم"، أي ناصحهم وذكّرهم بالمواعظ البليغة. ثم قوله تعالى: "وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً"، وقد اختلف المفسرون في معنى هذا القول البليغ: فقد قال الحسن البصري: إن المقصود هو أن تقول لهم: إن أظهرتم ما تخفونه في قلوبكم من النفاق والكفر، فإنكم ستقتلون. وهذا هو القول البليغ حقاً، لأنه يصل إلى أعماق نفوسهم ويؤثر فيها تأثيراً بالغاً، بينما ذهب أبو علي الجبائي إلى تفسير آخر، حيث قال: المعنى هو أن تعرض عن قبول أعذارهم الملفقة، وفي نفس الوقت تواصل وعظهم وتخويفهم من العواقب الوخيمة التي ستنزل بهم إن استمروا على نفاقهم وخيانتهم[28].

ويستنبط من هذه الآية الكريمة عدة فوائد: أولاً: فضيلة البلاغة في الخطاب، حيث حثت الآية على استعمال الألفاظ المؤثرة الواضحة.

ثانياً: أهمية حسن الترتيب في الكلام، حيث تجمع البلاغة بين الإيجاز والبيان.

ثالثاً: أن البلاغة تعد أحد أنواع الحكمة، لأنها تبلغ المعنى العميق بأقل الألفاظ مع أعظم تأثير.

فالآية بهذا تجمع بين التوجيه الرباني في معاملة المنافقين، والدروس البلاغية في كيفية مخاطبتهم بما يصل إلى قلوبهم ويؤثر في نفوسهم".

في تفسير الأمثل للشيرازي، نجد تأكيدًا على أهمية شمولية الدعوة لجميع الناس دون استثناء. فالله سبحانه وتعالى وجه نبيه الكريم موسى وهارون عليهما السلام لدعوة فرعون المتأله الجبار، رغم طغيانه واستكباره، كما

جاء في الآية الكريمة: "اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ" (طه: 43-44)، إن فرعون كان مصدر كل شقاء وتعاسة في تلك المنطقة الواسعة، حيث إن صلاح المجتمع أو فساده، تقدمه أو تخلفه، سعادته أو شقاءه، يتوقف بشكل أساس على قادته وحكامه. لذلك كان لزامًا أن يكونوا أولوية في الدعوة والإصلاح قبل غيرهم، من هنا يبين القرآن الكريم المنهج السليم في التعامل مع هؤلاء الطغاة وأمثالهم، منهجًا يقوم على خطة محكمة ومدروسة، لا على ردود الأفعال العشوائية وغير المحسوبة. فالمسألة هنا تتعلق بعلاج ظاهرة خطيرة ذات آثار مدمرة على المجتمع ككل، مما يستوجب التعامل معها بمنهجية دقيقة وتخطيط محكم، ومن البديهي في هذا المنهج القرآني أن يتقدم النصح والإرشاد والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة على غيرها من الوسائل، تأسيسًا على أن الإصلاح يبدأ بالكلمة الطيبة والحجة الواضحة قبل أي شيء آخر[29].

إن المؤمنين الحقيقيين لا يدّخرون جهداً في دعوة الناس إلى طاعة الله والاستقامة على منهجه. وتأمل في التعبير القرآني البديع: "وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً"، كأنما الكلمة الطيبة تُودع مباشرة في القلوب، فتستقر في الأعماق، داعيةً إلى التوبة والرجوع إلى الله ورسوله، بعد كل ما قد يبدو من البعض من ميل إلى الطاغوت وصدود عن التحاكم إلى شرع الله، لقد فتح الله باب التوبة على مصراعيه، فلم يفت أوان العودة إليه سبحانه. واستغفار الله للعبد، واستغفار الرسول صلى الله عليه واله وسلم للمذنبين، فيه القبول والرحمة. يقول تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا" (النساء:64). إن الله تواب رحيم في كل حين، يعد التائبين بقبول توبتهم وإفاضة رحمته، أما الذين فاتتهم فرصة استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في حياته، فإن باب الله مازال مفتوحاً، ووعده بالرحمة قائماً. فمن أراد التوبة فليقدم، ومن عزم على الرجوع فليبادِر. وقد أخبرنا الله أن التائب ينتقل فور توبته إلى صفوف المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، بل سماهم الله إخواناً في الدين بعد التوبة: "فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ" (التوبة:11).

لكن الموقف يختلف مع المشركين، كما تبين لنا في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه. فقد استغفر له أول الأمر، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وهذا هو المنهج الذي أمر الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" (التوبة:114).

جاء في سبب نزول هذه الآية أن رجلاً كان يستغفر لأبويه المشركين، فأنكر عليه علي بن أبي طالب ذلك. وعندما احتج الرجل باستغفار إبراهيم لأبيه، نزلت الآية لتبين الحكم.

وهكذا يحدد القرآن طبيعة العلاقة بين المؤمن وأهل الخيانة والشرك: إنها مفاصلة في الاعتقاد والفكر والسلوك، مفاصلة بالقلوب والجوارح، حتى لا تختلط الأمور، وحتى يتميز الخبيث من الطيب. فلا يُعطى أهل الخيانة فرصة لتمرير مؤامراتهم، بل يبقون معزولين حتى يراجعوا أنفسهم، عسى أن تدركهم رحمة الله فيتوبوا، فيتوب الله عليهم[30].

في كتاب الكافي، نجد روايةً هامةً تروي عن علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن أحمد بن حماد، الذي أخبره محمد بن مرازم عن أبيه أو عمه قال: "حضرتُ ذاتَ يومٍ مجلسَ الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) وهو يُحاسِب وكيلاً له، وكان هذا الوكيل يُكثر من القسم بالله قائلاً: 'والله ما خنتُ، والله ما خنتُ!'

فقال له الإمام أبو عبد الله (عليه السلام) موبخًا: 'يا هذا! خيانتك وتضييعك لمالي سواءٌ، لأن الخيانة شرها عليك (أي إثمها يقع عليك).

ثم استشهد الإمام (عليه السلام) بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله):*"لو أن أحدكم هرب من رزقه لتبعه حتى يدركه، كما أنه لو هرب من أجله (أي الموت) لتبعه حتى يدركه. مَن خان خيانةً، حُسبت عليه من رزقه، وكُتب عليه وزرها (إثمها)[31].

ثانياً: – الاستعانة بالله عز وجل من شرهم: المرتكز الأساسي في تحصيل النفع ودفع الضر

إن الأساس الأول الذي يعتمد عليه المسلم في جلب المنافع ودرء المضار هو الاستعانة بالله عز وجل، فهو سبحانه الذي سمى نفسه النافع الضار، ولا نافع ولا ضار حقيقةً سواه. ومن هذا المنطلق، فإن المسلم حين يواجه خطر الخيانة العظيم، لا بد له من التوجه إلى الله تعالى ليدفع عنه هذا البلاء.

حقيقة الاستعانة بالله

من استعان بالله فقد نجا، ومن لجأ إليه فقد اهتدى. ولا ينبغي أن يفهم من الاستعانة بالله ترك الأخذ بالأسباب، بل إن التوكل الحقيقي يقتضي الأخذ بالوسائل المشروعة مع الاعتماد على الله في النتائج. وقد ضرب الله لنا المثل في كتابه العزيز، حيث أخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه حافظه من مكر الكفار وكيدهم، فقال تعالى: {وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: 62].

تفسير الآية الكريمة

هذا الخطاب الإلهي موجه للنبي صلى الله عليه وسلم، حيث يخبره تعالى أن الكفار – وقيل هم بنو قريظة – إذا أرادوا خداعه بالصلح، فإن الله كافيه وحافظه. والخداع في اللغة هو إظهار المحبوب في الأمر للاستجابة له مع إبطان خلافه.

معاني المفردات

– "حسبك الله": أي كافيك الله. وأصل الكلمة من الحساب، حيث يعطي الله عبده ما يكفيه بحساب دقيق.

– "أيدك بنصره": التأييد هو التمكين والتقوية، والمعنى أن الله قوى رسوله بالنصر.

– "وبالمؤمنين": أي أن الله جعل المؤمنين سبباً لنصرة رسوله.

قوله تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} يشير إلى جمع القلوب على المحبة والوئام. وقد كان هذا التأليف بين الأوس والخزرج بعد العداوة الطويلة، كما ذكر ذلك أبو جعفر عليه السلام والسدي وبشر بن ثابت الأنصاري وابن إسحاق. وقال مجاهد: إن هذا يشمل كل متحابين في الله، والله تعالى أمرنا بالاستعانة به والتوكل عليه؛ للتحصن من كيد الخائنين؛ قال الله عز وجل: (وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) (النساء، 81)[32].

وفي ختام هذا النقطة لا بد من القول إن معيَّة الله عز وجل مع المؤمنين، فهو سبحانه بقوته وعظمته مع عباده يؤيدهم ويرعاهم وينصرهم، فهو وليهم، والخائنين لا مولى لهم، قال الله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) (الحج، 38)، جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يدفع السوء عن عباده الذين آمنوا به إيمانا حقا، ويكفيهم شر أهل السوء. وقد أشار إلى هذا المعنى في غير هذا الموضع الى غير ذلك من الآيات ... لأن الإيمان بالله هو أعظم أسباب دفع المكاره، ومن هنا كان على كل مؤمن مخلص أن يثق بوعد الله وبتأييده لعباده، وبرده كيد الخائنين في نحورهم، ولو بعد حين، وألا يتوجه ولا يستعين إلا بالله عز وجل. إن اجتماع القلوب على المحبة والوئام هو من أعظم نعم الله، بينما لا يسمى الاجتماع على البغضاء تأليفاً. وهكذا يبين الله تعالى أن الاستعانة به مع الأخذ بالأسباب هي سبيل النجاة من كل مكروه، ومنها خطر الخيانة.

ثالثاً: – تحذير المجتمع من أراجيفهم وعدم الثقة بهم:

يُحذرنا القرآن الكريم من التعامل مع الخائنين بثقة، فهم أشبه بثعالب بشرية ماكرة، لا يستحقون الأمان ولا التصديق. وقد ضرب الله مثلاً بالمنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يقول تعالى: {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة:94]، هؤلاء المنافقون كان دأبهم الكذب والخداع، حيث يعتذرون بأعذار واهية كاذبة عن تخلفهم عن الجهاد. وقد بينت الآية الكريمة أن الله قد أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم بحقيقة أمرهم وكشف خداعهم، فأصبحوا مكشوفين في الدنيا، لا يثق بهم المسلمون ولا تصدقهم العقول السليمة، وفي الآخرة سيكونون مكشوفين بشكل أكبر، حيث يردون إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم السر وأخفى، فيخبرهم بأعمالهم كلها ويجازيهم عليها. وقد سبق وصف الخائنين بأنهم يحسنون الكذب والدس، وينسجون الأباطيل، بل ويقسمون على كذبهم ليخدعوا الناس، بينما هم أبعد ما يكونون عن الصدق، هذا التحذير القرآني يضع قاعدة مهمة في التعامل مع الخائنين، فلا ثقة لهم ولا تصديق، لأنهم لا يتورعون عن الكذب والخداع لتحقيق مآربهم، وهم في النهاية مكشوفون في الدنيا والآخرة[33].

عد أن بينت الآيات الكريمة المنهج الأمثل للتعامل مع ما يبثه أهل الخيانة من إشاعات وأراجيف، جاءت آية سورة الحجرات لترسم الطريق الواضح: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات:6].

سبب النزول

يذكر السيد الطباطبائي أن نزول هذه الآية في قصة الوليد بن عقبة أمر مستفيض عند أهل السنة والشيعة. وقد أكد ابن عبد البر في "الاستيعاب" أنه لا خلاف بين علماء التأويل في أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة[34].

المعاني الروحية

وفي "المحاسن" روي عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قوله لزياد الحذاء: "ويحك وهل الدين إلا الحب؟ ألا ترى إلى قول الله: {إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم}؟ أولا ترون إلى قول الله لمحمد (صلى الله عليه وآله): {حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم}؟". ثم بين الإمام أن الحب هو الدين والدين هو الحب[35].

وفي "الكافي" روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟" ثم تلا الآية: {حبب إليكم الإيمان} [الحجرات:7]. وفي "المجمع" قيل إن الفسوق هنا هو الكذب، وهو ما روي عن ابن عباس وابن زيد، وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام)[36].

هذه النصوص تبين أن المنهج القرآني في التعامل مع أخبار الخائنين يقوم على:

1. التثبت والتبين من الأخبار
2. عدم التسرع في الحكم
3. الربط بين الإيمان والحب في الله والبغض في الله
4. اعتبار الفسق في هذا السياق هو الكذب والخيانة

وهكذا يرسم القرآن منهجاً متكاملاً للتعامل مع أخبار الفاسقين والخائنين، يحفظ المجتمع من الوقوع في الظلم بسبب الأخبار الكاذبة)[37].

السيد الطبطبائي: في الآية الكريمة {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ}، يبين الله تعالى سلوكاً مذموماً للمنافقين، حيث كانوا يتسرعون في إذاعة الأخبار – سواء كانت تحمل بشارة الأمن أو تحذيراً من الخوف – دون الرجوع إلى الرسول صلى الله عليه واله وسلم أو أولي الأمر من الصحابة. وهذا السلوك لم يكن خالياً من المفاسد والآثار السلبية، كان المنافقون ينشرون أخبار السرايا العسكرية بين الناس، فيبالغون في أخبار الانتصارات أو يضخمون أخبار الهزائم، دون تأكد أو تحقق. وكانوا يفعلون ذلك إما عن عمد لإثارة الفتنة، أو عن جهل وعدم تبصر. وفي كل الأحوال، كانت عواقب هذا التصرف وخيمة على المجتمع المسلم، فإن كان الخبر عن أمن وانتصار، زادوا فيه من عندهم ما لم يحدث، فإذا لم يتحقق ما زعموه، أوقَع ذلك الشك في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم عند ضعاف الإيمان. وإن كان الخبر عن خوف وهزيمة، أشاعوا الذعر والرعب في قلوب المؤمنين، وأثاروا البلبلة والفوضى، ولم تقتصر المفاسد على ذلك، بل إن إذاعة هذه الأخبار بدون ضابط كانت تصل بسرعة إلى الأعداء، فيستعدون ويتحصنون إذا كان الخبر عن قوة المسلمين، أو يتهجمون ويشتدون إذا كان الخبر عن ضعفهم. وهكذا كان سلوك المنافقين هذا سبباً في إفشاء الأسرار العسكرية وإضعاف الموقف السياسي والعسكري للمسلمين، لذلك ذم الله تعالى هذا التصرف، وأرشد المؤمنين إلى أن يردوا مثل هذه الأخبار إلى الرسول صلى الله عليه واله وسلم وإلى أولي الأمر من ذوي الخبرة والحكمة، الذين يعرفون كيف يتعاملون مع الأخبار، فيميزون الصحيح من الزائف، ويقررون ما ينبغي إشاعته وما يجب كتمانه. وبهذا يكونون قد توقوا الشرور والمفاسد التي تنتج عن التسرع في إذاعة الأخبار دون تمحيص[38].

لقد تميز أهل الخيانة والنفاق عبر العصور، بدءاً من عهد النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم وحتى يومنا هذا، بإتقانهم فن بث الشائعات والأراجيف، خاصة في أوقات الأزمات والشدائد. وكانوا يجدون دائماً من يردد أكاذيبهم بين صفوف المؤمنين، بهدف تقويض عزيمتهم وإضعاف صمودهم. وقد تجلى هذا السلوك الخبيث في مواقف عدة كغزوة أحد والخندق، حيث استغل المنافقون لحظات الضعف لبث الإشاعات المثبطة، كما في قوله تعالى: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب:12]. بل إن إشاعة خبر

مقتل النبي صلى الله عليه وسلم في أحد كادت أن توقع الهزيمة بالمسلمين لولا نزول الآية الكريمة: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران:144]. وتكمن خطورة هؤلاء الخائنين في وجود من يصغي لأقوالهم بين المؤمنين، مما يعظم من تأثيرهم السلبي، كما بين تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا} [التوبة:47]، حيث يفسر الخبال بالفتنة والاضطراب الذي يحدثونه ببثهم الأكاذيب بين الصفوف. وهكذا يبقى سلوك المنافقين عبر التاريخ نموذجاً للخيانة التي تستهدف تماسك الأمة وقوتها المعنوية(39).

رابعاً: – تصدي المجتمع للخائنين:

أمرنا الله تعالى بمواجهة أهل الخيانة والغدر بحزم، ولو كانوا حلفاء أو معاهدين، إذا ظهرت منهم بوادر نقض العهود، حيث أرشدنا إلى وجوب إعلان فسخ الاتفاقيات معهم صراحة قبل مواجهتهم، فلا يجوز للمسلم أن يغفل عن خيانتهم أو يقع ضحية للغدر تحت ذريعة الالتزام بالعهود. وقد بين القرآن الكريم أن كل المواثيق تصبح لاغية في حال الثبوت على الخيانة، كما في قوله تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال:58]. وقد تجسد هذا المبدأ العملي في تعامل النبي صلى الله عليه واله وسلم مع يهود المدينة الذين نقضوا عهودهم المتكررة، حيث وصفهم القرآن بأشد الأوصاف: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}، وذلك لأنهم بعد إظهار الترحيب بالدعوة الإسلامية، انقلبوا عليها حين هددت مصالحهم الدنيوية، فأصبحوا ينقضون العهود باستمرار دون مراعاة للقيم الإنسانية أو الخوف من الله، كما جاء في الآية: {الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ}، مما استوجب مواجهتهم بقوة ليكونوا عبرة لغيرهم، حيث أمر القرآن بضرورة قتالهم بشكل حاسم يردع من خلفهم من الطوائف الموالية لهم(40).

لقد أمر الله تعالى بمواجهة الخيانة والغدر بكل حزم، سواء من المعاهدين أو المنافقين الذين يتسترون برداء الإسلام. ففي حال نقض العهد من قبل المعاهدين، جاء التوجيه الإلهي واضحاً: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ} [الأنفال:57]، أي يجب مواجهتهم بقوة ليكونوا عبرة لغيرهم، أما المنافقون الذين يطعنون المسلمين من الخلف، فقد حدد القرآن منهج التعامل معهم في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة:73]. وقد فُسر جهاد المنافقين بأنه غير مسلح في الأصل، إذ لم يرد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم بالسيف، بل كان يعاملهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وربما بالشدة في التوبيخ والفضح، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، غير أن هذا المنهج يتغير إذا حمل المنافقون السلاح ضد المسلمين، حيث يصبحون محاربين يجب قتالهم. وهذا ما حدث في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما واجه الخوارج. أما القول بأن جهاد المنافقين يعني إقامة الحدود عليهم، فهو قول ضعيف لا دليل عليه من السنة النبوية، وهكذا يتبين أن الإسلام قد وضع منهجاً متكاملاً للتعامل مع الخائنين، يراعي ظروف كل حالة، ويوازن بين الحكمة والحزم، وبين الرفق والشدة، حسب طبيعة الخيانة ودرجة خطورتها على المجتمع الإسلامي(41).

يؤكد القرآن الكريم في قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} (النساء:63) المنهج الحكيم في التعامل مع المنافقين، حيث يبدأ بالعفو والصبر ثم يتدرج إلى المواجهة الحاسمة عند الضرورة. وقد اختلف المفسرون في تطبيق هذا المنهج، فبينما يرى الواحدي أن الأمر بقتال

المنافقين ناسخ للأمر بالإعراض عنهم، يؤكد آخرون أن الآية تحمل ظاهرها دون تأويل. والحقيقة أن الإسلام يتعامل مع الخيانة بحكمة ومرونة، حيث لا يقبل الاعتداء على المسلمين أو تهديد أمن المجتمع، سواء من الداخل أو الخارج. فمن ثبتت خيانته في عرض أو وطن أو دين، فإن العقوبة تتناسب مع جرمه، من الحدود الشرعية إلى التعزير حسب الجرم. كما يوضح عبد الرحمن السعدي أن جهاد المنافقين يشمل أنواعاً متعددة: باليد عند المحاربة الظاهرة، وبالحجة والبرهان عند الخفاء، معتبراً أن القتال هو آخر الدواء. وهكذا يتدرج المنهج القرآني في مواجهة الخيانة من التربية والتحصين، إلى الموعظة والنصح، ثم الحذر والتحذير، وانتهاءً بالغلظة والقسوة وقتال من يستحق، وفقاً لمبدأ "آخر الدواء الكي"، حيث يكون اللين في موضعه والشدة في موضعها، حسب مقتضيات الحال ومراحل المواجهة[42].

في رواية واردة في كتاب الكافي بسند متصل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، يروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: "أربعة لا قطع عليهم: المختلس، والغلول، ومن سرق من الغنيمة، وسرقة الأجير فإنها خيانة"[43].

هذا الحديث الشريف يبين الأحكام الشرعية المتعلقة بحد السرقة، حيث يستثني الإمام علي عليه السلام أربع فئات من قطع اليد رغم ارتكابهم أفعالاً تشبه السرقة، وذلك للأسباب التالية:

1. المختلس: وهو من يأخذ المال خلسة دون علم صاحبه، لكنه لا يتمكن من استيفاء شروط السرقة الموجبة للحد.
2. الغلول: وهو من يخون في الغنائم الحربية بأخذ شيء منها قبل القسمة.
3. سارق الغنيمة: الذي يأخذ من أموال الغنيمة قبل توزيعها.
4. الأجير الخائن: الذي يسرق من مال مستأجره أثناء عمله.

ويعلل الإمام عليه السلام هذه الاستثناءات بأن هذه الأفعال وإن كانت تشبه السرقة إلا أنها تدخل في باب الخيانة أكثر من كونها سرقة صريحة، ولذلك يعاقب مرتكبوها بعقوبات تعزيرية تتناسب مع جرمهم دون تطبيق حد القطع عليهم.

نتائج البحث:

1. ان مفهوم الخيانة في القران الكريم يشتمل عدة مجالات (دينية، اجتماعية، سياسية، أسرية)، حيث اشار اليها القران بانها صفة ذميمة غير حميدة وهي ضد الأمانة تتنافى صفات ووضع لها عدة صور منها خيانة العهد وخيانة إفشاء الاسرار والغدر والكذب والتآمر ضد المجتمع.
2. هناك اثار اخلاقية تخلفها الخيانة: منها انعدام الثقة بين الافراد والمجتمعات حيث تؤدي الى اضمحلال الروابط الاجتماعية وغيرها، كما تؤدي الى انتشار الفتن وإضعاف التماسك الداخلي للمجتمعات لانها ترتبط بالصفات الذميمة كالنفاق والكذب.

3. حيث ركز القران الكريم على وضع منهج في التربية والوقاية من الخائنين حيث وجه على توجية مراقبة الله في النفوس والنهي عن التجسس واشاعة الاخبار غير الموثقة ودون تثبت، والحث على الامانة وصدق الحديث والوفاء بالعهد.

4. وضع القران الكريم والسنه النبوية الشريفة عقوبات قاسية على الخائنين ومن يتعود الخيانة حيث وضع عقوبات للخيانة الكبرى(كخيانة الأمة والدين) وعقوبات للخيانة الصغرى(التعزير والتوبة)، حيث فرق بين عقوبة الخيانة العقدية (كالنفاق) والخيانة الاجتماعية (كإفشاء الأسرار).

توصيات البحث:

1. في الجانب التربوي:
   - تعزيز الوازع الديني عبر برامج تربوية تُبرز خطر الخيانة وعواقبها في الدنيا والآخرة.
   - تدريب الشباب على التحلي بالصدق والشفافية، وتربيتهم على تحمل المسؤولية.
2. في الجانب الاجتماعي:
   - بناء ثقافة الثقة المبنية على النزاهة، مع الحذر من تسريب المعلومات الحساسة.
   - تشجيع الحوار الأسري والمجتمعي لمواجهة الأفكار المنحرفة التي تبرر الخيانة.
3. في الجانب التشريعي:
   - تطوير أنظمة رادعة للخيانة الوطنية أو العسكرية، مع مراعاة الضوابط الشرعية.
   - التمييز بين حالات الخيانة المقصودة والخطأ غير العمد في تطبيق العقوبات.
4. في البحث العلمي:
   - إجراء دراسات مكملة عن تأثير الخيانة على الأمن المجتمعي.
   - تحليل نماذج تاريخية لخيانة الأفراد والجماعات واستخلاص الدروس منها.

خاتمة

تعد الخيانة من الصفات الذميمة التي نبذها الإسلام بكل صراحة ووضوح، وقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالتحذير الشديد منها، لما لها من آثار سلبية عميقة وخطيرة على الفرد والمجتمع. فالخيانة تقوّض أسس الثقة، وتفكك روابط المحبة، وتزرع الشك والكراهية في النفوس، مما يؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية، وضعف الروابط الإنسانية، وتهديد الاستقرار العام في المجتمعات.

وقد أظهر البحث كيف أن الإسلام قد عالج هذا السلوك من خلال التربية الإيمانية والأخلاقية، وربط الخيانة بضعف الإيمان والنفاق، وجعل ضدّها الأمانة التي هي عنوان المؤمنين وصفة الأنبياء والصالحين.

ومن خلال الدراسة الموضوعية والحديثية لنصوص الوحي، تبين أن الخيانة لا تقتصر على جانب مادي فقط، بل تشمل خيانة المبادئ، وخيانة الدين، وخيانة العهد، وخيانة المسؤولية، وخيانة العلاقة الزوجية، وغيرها من الصور التي يجب الحذر منها والتنبه إليها، سواء على الصعيد الفردي أو المؤسساتي أو المجتمعي.

كما يتضح أن محاربة ظاهرة الخيانة لا تقتصر على الوعظ والنصح فقط، بل تحتاج إلى برامج تربوية متكاملة تبدأ من الأسرة، وتمر بالمؤسسات التعليمية، وتُعزَّز في الإعلام والثقافة العامة، وذلك من خلال:

- تعليم الأبناء منذ الصغر قيمة الأمانة والوفاء.
- إبراز القدوات الصالحة في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.
- ربط السلوك الأخلاقي بالإيمان بالله واليوم الآخر.
- تشجيع الشفافية والمساءلة في العمل والمسؤوليات.

وفي الختام، فإن الخيانة تهدد البناء الأخلاقي للأمة، وإن استمرارها دون معالجة يعكس خللاً في البنية التربوية والاجتماعية، لذلك فإن المسؤولية مشتركة بين العلماء والمربين والدعاة والمؤسسات المختلفة لغرس وتعزيز ثقافة الأمانة والصدق والوفاء، وبناء جيل يؤمن بأن الوفاء بالعهد من أعظم القربات، وأن الخيانة من كبائر الذنوب التي لا يرضاها الله ولا رسوله.

الهوامش:

1. الازهري، تهذيب اللغة ،ج3، ص25
2. الفراهيدي، العين،،ج1،ص334
3. أبن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ج13، ص144.
4. الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، ديوان الأعشى، ج1، ص234.
5. دكتور احمد فتح الله ، معجم الفاظ الفقه الجعفري،ج1،ص173.
6. الطبطائي، الميزان ج9، ص62
7. دكتور سعدي ابو حبيب، القاموس الفقهي،ج1،ص124.
8. المناوي، محمد بن عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ج1، ص329.
9. سيد قطب، ابراهيم حسين، في ضلال القران، ج12، 710.
10. البغوي، معالم التنزيل ،ج2،ص412.
11. الطوسي، مجمع البيان،ج5،ص328.
12. الرازي، فخر الدين، تفسير القران العظيم، ج10، 336.
13. م،ن،ج12،ص389.
14. الطبري، تفسير الطبري،ج1،ص114.
15. الطوسي، التبيان،ج5،ص155.
16. مولي محمد صالح،شرح اصول الكافي،ج15،ص52
17. الطوسي، التبيان،ج1،ص82.
18. الكليني،الكافي،ج2،ص547.
19. م. ن ،ج2،ص568
20. م،ن،ج2،ص549
21. الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى، التفسير الأصفى، ج1، ص500.

22. الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج3، ص253.
23. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ج2، ص26.
24. الشهرودي، ميزان الحكمة، ج16، ص12.
25. القرطبي، محمد بن احمد، تفسير القرطبي، ج3، ص46.
26. الشهرودي، ميزان الحكمة، ج4، ص341.
27. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج15، ص55.
28. الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القران، ج3، ص102.
29. الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج10، ص6.
30. م،ن،ج3،ص301.
31. الكليني،الكافي ،ج5،ص435.
32. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القران، ج5، ص146.
33. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القران، ج6، ص45.
34. الطبطبائي، تفسير الميزان، ج18،ص168.
35. الكليني، الكافي، ج8،ص114
36. م،ن،ج2،ص182.
37. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القران، ج18، ص168.
38.م،ن،ج5،ص10.
39. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القران، ج5، 224.
40. الشيرازي، ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج5، ص446.
41. م،ن، ج18، ص464.
42. م،ن،ج3،ص301.
43. الكليني، الكافي،ج7،ص317.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت. 175هـ)، معجم العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2003م.

2. الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل (ت. 7هـ/629م)، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد حسين الأعرجي، بيروت: دار صادر، 1998م.

3. الطوسي، محمد بن الحسن (ت. 460هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 2002م.

4. البغوي، الحسين بن مسعود (ت. 516هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م.

5. الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت. 548هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1995م.
6. الرازي، فخر الدين (ت. 606هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
7. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت. 711هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، 1993م.
8. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت. 329هـ)، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، 1388هـ.
9. المناوي،عبد الرؤوف (ت. 1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رفيق أحمد عوض، بيروت: دار الفكر، 1990م.
10. مولى محمد صالح المازندراني (ت. 1081هـ)، شرح أصول الكافي، تحقيق: السيد علي عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2008م.
11. فتح الله، أحمد (معاصر)، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، دمشق: دار الفكر، 2006م.
12. أبو حبيب، سعدي (معاصر)، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دمشق: دار الفكر، 2007م.
13. الطبطبائي، محمد حسين (ت. 1402هـ / 1981م)، تفسير الميزان، ترجمة: السيد محمد باقر الموسوي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1996م.
14. سيد قطب (ت. 1386هـ / 1966م)، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، الطبعة السادسة، 2003م.
15. الشهرودي، محمد الريشهري (ت. 1443هـ / 2022م)، ميزان الحكمة، ترجمة: محمد محمدي الريشهري، قم: دار الحديث، 2006م.
16. الشيرازي، ناصر مكارم (معاصر)، تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، الطبعة الرابعة، 2010م.